رحلات الحجّ الأفريقية رحلة منسا موسى نموذجا (712- 737هـ /1312- 1337 م

أ. نادية سالم العيادي شفشة ــ كلية التربية الزاوية ــ جامعة الزاوية

المُلخّـــص :

تُعتبر رحلة حـــج منسا مـــوسى من أشهر رحلات الحج الأفريقية فقد شكلت دورًا مُهما في حياة مملكة مالي الإسلامية حيث ذاع صيتها في بلاد المغرب وشمال أفريقيا ومصر والحجاز وبعض بلدان أوربا لما أنفقه فيها سلطان التكرور من كميات ذهب كثيرة وأموال طائلة والعدد الهائل من العبيد الذي رافقه في الرحلة زِدْ عن ذلك الأحـــداث التي وقعتْ في الطريق كما كان للرحلة آثار واضحة في مناطق المملكة كافة من كل الجوانب السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية .

التمهيد :

الحــجّ رُكــن من أركان الإسلام الخمس فقد أكّد الدين الإسلامي علي هذه الفريضة **(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)** [من سورة آل عمران الآية: 97] ، وحفلت كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات بالحديث عن رحلات الحج التي قام بها ملوك افريقيا فيما وراء الصحراء أو كما يعرف ببلاد السودان الغربي في تلك الفترة (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي) ، ويعد السلطان منسا موسى من أبرز الشخصيات الأفريقية المسلمة البارزة في تاريخ تلك الفترة وتعتبر رحلته من أكثر رحلات الحج شهرة لما تضمنته من أحداث تاريخية مبالغ فيها علي حد التعبير .

ومنسا موسى ملك أفريقي مسلم حكم بلاد التكرور (مملكة مالي الإسلامية) التي تضم مناجم الذهب والملح قام برحلة الحج التي عرفت برحلة الذهب ورحلته الحج الذهبية التي وصلت شهرتها كل بقاع الأرض إذا لم أبالغ ، فقد سمع بها مسلمي الأندلس وأهل الحجاز مكة والمدنية والمرنين ببلاد الغرب والمماليك في مصر والشام وشمال افريقية اصطحب منسا موسى في هذه الرحلة موكباً هائلاً من العبيد وكميات كبيرة من الذهب التي أنفقها السلطان علي كل مكان يمر فيه

تهدف الدراسة إلى توضيح أسباب رحلة السلطان منسا موسى .

وكيفية استعداده لها والطرق التي سلكها ؟ ولماذا اصطحب معه هذا العدد الهائل من العبيد والذهب ؟ وماجري خلالها من أحداث ؟ منها لقاء مع السلطان المملوكي ودخوله مكة ، وزيارة المدنية وما ترتب عليها من آثار علي كافة الأصعدة؟

المنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الذي يعتمد علي عرض المادة وتحليها وصولا إلي نتائج تاريخية.

عناصـــــــــر البحث :

أولا ـ لمحـــــة مختصرة عن منسا موســـى : هو منسا موسى اليمن لقب بكنكة ؛ لأن والدته هي التي أشرفت علي تربيته والابن يُنسب إلى الأم عند القبائل الزنجية (1) هو منسا موسى بن أبي بكر من أصل يمني .قدم من اليمن ؛ ولكن لم نجد تاريخ خروجه من اليمن ولا تاريخ وصوله إلي البلاد التكرور (2) ، وهل هذا يعني أنه من أصول عربية من بلاد اليمن ؟ عرف - أيضا - باسم موسي بن أبي بكر الأسود (3)، وسمي موسى بن أبي سالم التكروري (4) ، واتفق كل من ابن كثير المتوفى (774هـ) وابن خلدون (ت808هـ) والقلقشندي (ت 821هـ) علي اسم منسا موسى بن أبي بكر (5) ، ولد عام (1280م) هو المناسا العاشر لمملكة مالي لقب بعدة ألقاب منها كونكور موسى وكانكيرو ونان واشتهر باسم كرمل (6) وعرف باسم كنكة موسى حاكم مل (8).

صفاته : كان رجلا صالحا تقيا وملكا عظيما له أخبار في العدل يؤثر عنه عظمت ملكه في عهد فتحت الكثير من بلاد السودان (9). قال عنه السعدي : كان صالحا عادلا لم يكن قبله ومثله في الصلاح وكان حكيما (10) ، وعلق عنه ابن خلدون انه من أعظم ملوك عصره وهو أول من ملك السودان ملكا حقيقا(12) ، وذكره محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش بأنه رجلا عادلا تقيا عابدا كان يعتق كل يوم نفسا(13) ، وأورد لنا ابن بطوطة في كتابه تحفه الأنظار المعروف برحلة بن بطوطة مآثر السلطان منسا موسى قائلا : سخي كريم يحب العلماء يجزل لهم العطاء، ويذكر شمائله أحسن الناس وأطعمهم للطعام وأشهرهم تواضعا كان فصيحا كلامه عذب (14)، كما كان كريم يعترف بالجميل فقد ذكر لنا ابن بطوطه موقف يدل على هذا في صغره عطف عليه رجل يُعرف بابن الشيخ اللبن فأعطاه سبع مثاقيل وثلث ، وعندما دارت الأيام وتولي منسا الحكم جاء الرجل لزيارته ,فأجلسه بجواره واستشار أصحابه فيما يفعله لهذا الرجل نصحوه قائلين : الحسنة بعشرة أمثالها فأعطاه سبعين مثقالا ثم منحه عبدا وخادما (15).

تولى الحكم (707-733هـــ /1312-1337م) وأكسب بلاده مكانه كبيرة في الداخل والخارج واجه تحديات كثيرة عند توليه شـــؤون الحكم فسيطر على الفتن والقلاقل وأخذ يبني بلاده اقتصاديا وفكريا وعلميا وربطها بعلاقات سياسية متميزة مع بلدان المغرب الأقصى(16) ، وتمتعت البلاد في عهد بالرخاء والثراء (17) ، كما سيطر على مناجم الملح في تغازا* ، والنحاس في تكدا حتى وصل نفوذه المحيط الأطلسي(18) .

ثانيا ـ أسباب الرحلة :

عند البحث عن الأسباب التي دفعت منسا موسى للقيام برحلة الحج لم نجد إلاّ سببا واحدا هو قتله لوالدته عن طريق الخطأ ، وفي هذا الصدد يذكر محمود كعت في كتابه القصة : لحجه سبب حكاه لي الطالب الحافظ لقصائص الأوائل محمد فم - رحمه الله - إن ملك كنك موسى قتل نانا كنك خطأ وأسف وندم وخاف عقوبة ذلك فتصدق بمال جزيل وعزم على صوم الدهر (19) . كما سأل بعض العلماء عما يفعله لاستغفار هذا الذنب قالوا له :- أرى أن تتضرع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتدخل حرمته وتستشفع به وسيغفر الله لك (20) .

ولعل السؤال الذي لم نجد له إجابة في المصادر التي وقعت بين أيدينا هو كيف قتل منسا موسى والدته خطأ ؟ أي : أن الحج كان لتكفير عن الذنب فقظ ألم يكن يريد أداء فريضة الحج ؟!

ثالثا ـ الاستعداد للرحلة : بدأ منسا موسى يستعد ويجهز لرحلته إلى الأراضي المقدسة فقد استغرق التجهيز مدة خمس سنوات تقريبا . فقام بجمع المال والعون والزاد وأتى ببعض المشايخ ليختاروا له يوم يخرج فيه لماذا ؟ فقالوا له : عليك أن تنتظر يوم السبت الذي يكون ثاني عشر شهر لتخرج فيه حتى لا تموت وترجع إلى دارك سالما إن شاء الله وظل يتربص ذلك حتى جاء اليوم (السبت الثاني عشر) فخرج فيه (21). ونقف هنا قليلا لنحلل ما سبق .

ماذا يقصد بالشهر الذي يكون يوم السبت فيه ثاني عشر هل هو شهر ربيع الأول الذي ولد فيه الرسول ؟ وأتعجب كيف أن ملك مسلم متدين يقتنع بهذه التنبؤات كيف للمشايخ يقولون له هذا ؟

ـ لم يوضح لنا المؤرخ محمود كعت الذي ذكر هذه الرواية الشهر الهجري الذي وافق فيه يوم السبت 12 .

ـ قد تكون هذه عادة اعتمد عليها أغلب الملوك والأمراء فأخذ سلطان التكرور بقولهم كما أنها كانت موجودة في بلاد المشرق الإسلامي خاصة في عهدي الأموي والعباسي هذا يذكرنا بموقف المنجمين لخليفة العباسي المعتصم أثناء تجهيزه لفتح عمورية حيث طلبوا منه الخروج وقت نضج التين والعنب أليس كذلك .

في هذا السياق نذكر الآية الكريمة (**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**) (22) . خرج من داره سنة (724هـ /1325م) وبرفقته :-

- زوجته نازكنت ، ومعها خمس مائة من النسوة وخدمها (23) .

- رافقه موكب كبير اختلف المؤرخون في عدده ، فقد خرج بعد ما وصل رأس قافلته تنبكت* وهو في داره بمل (24) . خرج في هذا الموكب اتباعه من أهل تغازا- ولاوته**- توات*** وغيرهم من أهل مملكته من العلماء والأعيان (25).

ـ أما العبيد الذين رافقوه في رحلته فقد اختلف المؤرخون في ذكر وتقدير عددهم ومحمود كعت المتوفي (1002هـ/1593م) قدر الموكب بثمانية ألف (26) ، والسعدى (ت1067هـ /1656م) قدره 60 ألف (27) . وأما مؤرخون المغاربة فقد قدر اليافعي (ت768هـ /1366م) عدد الرقيق 5ألف حاج (28) وابن كثير (774هـ /1372م) 20ألف (29) .

نستنج مما سبق :

ـ مبالغة كبيرة في موكب الحج الذي خرج مع السلطان الممتد من تنبكت إلى ملء فالمسافة بينهما حوالي 965 كلم تقريبا فلو وضع العدد الذي رافقه في قافلة منظمة لن يستغرق هذه المسافة ، ثم الاختلاف في عدد العبيد بين مؤرخين المغاربة والأفريقيين أو المشارقة فالسعدي بالغ كثيرا بقوله 60 ألف ، ويبدو أنهم اعتمد على الرواية الشفوية التي تعتمد على المبالغة والزيادة ، وأما محمود كعت فقد قدّرالعدد الذي معه بـ : 8 ألف صحيح وهو أقرب للصواب ، فهو من أهل البلاد وأعلم بأحوالها . وهذه تدل هذه الأرقام على عظمة مملكة مالي الإسلامية في تلك الفترة . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا لماذا العدد الهائل من العبيد ؟أربعة آلاف جارية لخدمة السلطان وحاشيته وتوفير ما يلزم من تجهيز الطعام والشراب طوال الرحلة (30) . ـ 500 جارية لخدمة زوجته نازكت (31) .

ـ مراقبة الطريق واستكشافه فقد كان يمشي أمامه دليل ومرشد سليمان بن يعت (32).

ـ تأمين الطريق وحمايته من أي هجوم خاصة إن الطريق طويلة ووعرة .

ـ العبيد الذين حفروا بحيرة لزوجته (33) .

ـ حمل قضبان الذهب فقد كان في يد كل عبد عصا من الذهب تقدر خمسة مائة مثقال (34).

ـ كما اصطحب منسا موسى في رحلته كميات كبيرة من الذهب وقع اختلاف في تقديرها

ـ أيضا ـ يذكر ابن خلدون كمية الذهب قدرها مائة حمل من التبر في كل حمل ثلاث قناطير (35) ، وفي موضع اخر قدر كمية الذهب ثمانين حملا في كل حمل ثلاث قناطير (36) يبدو أن ابن خلدون قد نهل من مصدرين مختلفين .

ـ لماذا حمل السلطان منسا موسى كل هذا الذهب ؟

ـ إذا كيف للسلطان أن يعبث باقتصاده بلاده بهذه الطريقة

ـ نلاحظ إن هناك مبالغات في عدد العبيد وكمية الذهب والموكب الذي خرج مع السلطان الأمر الذي جعلنا نطرح بعض التساؤلات منها :-
ـ ما الذي يكفي هذا الموكب الكبير من طعام وشراب وكسا طول الطريق ؟
ـ كيف يستطيع العبد أن يحمل عصا تزن 500 مثقال ويمشي بها في طريق طويل وشاق يمتاز بمناخ شديد الحرارة ؟
ـ هل كان في مملكة مالي الإسلامية كل هذا الذهب ؟
علينا أن نشير هنا إلى نقطة هامة هي أن شعوب افريقيا فيما وراء الصحراء تعتمد على الرواية الشفوية في ذكر الأحداث التاريخية وهي تحمل الزيادة والنقصان والمبالغة ورحلة حج منسا موسى كانت جزء من هذه الروايات التي غدتها الأيام على مر السنين .

رابعا ـ طريق الرحلة : لم تذكر لنا المصادر التاريخية الطرق التي سلكها منسا موسى بصورة مفصلة ودقيقة فاختلفت الآراء وتضاربت حول هذا الموضوع . فعندما خرج ملك التكرور يوم السبت من بلاده على رأس قافلته وجه إلى سلطان الدولة المرينة أبي سعيد بن يعقوب رسالة يخبره فيها بأنه سوف يمر بقافلته عبر أراضيه فأصدر السلطان المريني أوامره بحماية موكب السلطان أثناء العبور حتى يخرج منها . ولبست البلاد المغربية حلة الزينة فقد حمل معه أحمالا من الهدايا التي قدمها لحضرة السلطان المريني بفأس ثم توجه إلى تلمسان يرافقه كوكبه من الخيالة المغاربة (37).
يذكر لنا ابن خلدون أن منسا موسى خرج بموكبه من بلاد المغرب للحج سلك طريق الصحراء وخرج عند الأهرام بمصر (38). أي طريق صحراوي سلكه ، فابن خلدون لماذا لم يوضح ؟ في حين يذكر السعدي أن السلطان سلك طريق لولاته مرورًا بتوات حيث تخلف بعض رجاله بسبب المرض الذي أصابهم في أرجلهم فيها (39) .
ورأي ثالث يرى أن ملك التكرور مر بولاته وتوات ورجلة فشاطي البحر المتوسط في برقة واتجه نحو الساحل إلى القاهرة .(40) ، ورابع يقول إن طريق الحج يبدأ عاصمة مالي ويمر بتنبكت ثم ولاته ثم تغازا منها توات وغدامس * وبعدها خرج عند الأهرامات في الجيزة **(41) ، وفي رأي آخر يرى أن منسا موسى خرج من عاصمة مالي على نهر النيجر حتى وصل شمالاً إلى خليج ســرت في ليبيا ثم توجه إلى القاهرة (42) ، ويظهر أنه سلك طريق تنكتت لولاته , تغازا وتوات ,غدامس ،أوجلة ، سيوة , القاهرة ثم الطريق البري إلى مكة .
وأثناء طريقه وتحديدًا بين توات وتغازا استقرت القافلة للراحة وكانت زوجته أنازكنت معه وقد حدثت قصة غريبة مفادها أنه نام منسا موسى بينما زوجته ظلت ساهرة وعندما

استيقظ وجدها مازالت لم تنام فسألها لماذا لم تنامي ؟ فلم تقل له شيئا فأصر عليها ، فقالت : ليس إلا الأوساخ في بدني وتمنيت البحر للعوم فيه . هل لك تحصيل ذلك ؟ نهض كنكا موسى ، ونادى كبير الخدم اسمه فرب ذكر له ما تريده زوجته قال له إنها لم تطلب مني شيئا سابقا وأرغب في تحقيق رغبتها هل يمكن ذلك ؟(43)، فخرج قرب ونادى العبيد ومشى قرابة ألف خطوة وطلب منه حفر الحفرة في مكان الذي وقف فيه فحفر العبيد وملاءها بالأحجار ثم اشعل فيها النيران حتى أصبحت ملساء كفخار وأمر بسكب مياه القرب فيها حتى امتلأت (44)، ثم عاد فرب إلى السلطان ووجده جالسا مع زوجته فقال له : لقد أعانك الله وأذهب همك فقد قدرك الله على ايجاد البحر ببركة زيارتك للرسول صلى الله عليه وسلم- وعند الفجر خرجت انازكنت مع خدماتها فنزلن فيها فرحات مسرورات(44). هل يعقل أن يفعل السلطان هذا ؟ ويستنفذ الماء الموجود في القافلة لإرضاء رغبة زوجته وهو في طريق السفر ؟ كيف تمكّن العبيد من حفر وتجهيز الحفرة في ليلة واحدة ؟ هذه الحادثة مذكورة بشكل مفصّل عند المؤرخ محمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش الذي يعد مصدرا مهما ينهل منه المؤرخين عن تاريخ افريقيا فيما وراء الصحراء.

خامسا ـ ملك التكرور في مصـــــر : وصل منسا موسى إلى مصر التي كانت تحت حكم السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون *(709-741هـــ/1309-1340م) حيث استقبل استقبالا رائعا رسميا كان على رأس المستقبلين المهنمدار * الأمير أبالعباس شهاب الدين أحمد علي الحاكي الذي استقبله وهو جميع موكب حجه وأنزلهم بقصر القرافة الكبرى في القاهرة الذي قدمه له السلطان المملوكي كهدية (45) . **وأثناء** إقامته في القرافة التقى بالوالي الأمير أبي الحسن علي بن أمير حاجب (ت739هـــ /1388م) حيث دار الحديث بينهما وسأله عن مالي وأحوالها وأحوال أمم شعوب السودان (46).

عامل ملك التكرور الجميع معاملة حسنة وأكرمهم كرما بليغا ؛ ولكنه كان لا يتحدث إلا بترجمان مع إنه يجيد اللغة العربية (47) لماذا ؟ قدّم الســـلطان المملوكي مجموعة من الهدايا منها الذهب الكثير يقدر بحوالي 40الف دينار كما قدم ســلطان مالي الذهب والهدايا والعطايا لكل من قدم له خدمة بما في ذلك موظفي الدولة (48). حاول الأمير أبا العباس أن يجمعه مع الســلطان محمد بن قلاوون ؛ ولكنه امتنع في بداية الأمر ، وقال له أنا جئت لكي أحج ولا لشـــيء آخر وظل يتحجج ويتعذر ؛ لأنه كان يعلم بأنه ســوف يضــطر إلى تقبيل الأرض ويد الســلطان المملوكي وهو لا يريد أن يفعل ذلك (49). وفعلا بعد إلحاح شديد قابل السلطان المملوكي وطلب منه أن يقبّل الأرض فامتنع

عن ذلك ، وقال له كيف يجـــــــوز هذا فأنا مالكي لا أسجد لغير الله – تعالى- فأعفاه السـلطان من ذلك وقربه منه وأكرمه وسـأله عن سـبب قدومه فرد عليه أريد الحج ، فطلب من وزيره أن يقدّم لـه كل مـا يحتـاج إليـه من إبل وحرير وتموين (50) ، ومكث السـلطان في مصـــر ينتظر موعد الحج ، ووزع خلال فترة اقامته الكثير من الذهب لدرجـة أنـه نزل سـعر الذهب إلى مقدار درهمين لكل مثقال (51) ورأي ثاني يقول إن سـعر الذهب انحط مقدار سـتة دراهم (52) ، كما أنفق رجاله الذهب في شـراء الجواري من الترك والمغنيـات والثيـاب ، الأمر الذي جعل سـعر الذهب يظل نازلا حتى اثني عشـرة سـنة بعد حجه (53) كما اشـترى أملاكا جعلها وقفا لأهالي التكرور وأسـس رواق في الأزهر لطلبة السودان وبنى لهم دارا للإقامة فيها(54) قضـى فترة اقامته في مصـر في العبادة والصـلاة والتوجه إلى الله ...كما كان كثير الصـدقة (55). التقى – أيضـا- بعدد كبير من فقهاء المالكية في مصـر دار بينهم نقاش طويل في الفقه ومسائله كان من بينهم القاضـي محمد بن ثعلب المصـري الذي ألف شـرحا لمختصـر أبي الحسـن الطيلطلي (341هـ-953م) بأمر منه (56).

نستنتج مما سبق : إن السلطان منسا موسى صرف الكثير من الذهب أثناء اقامته في مصر سواء لخزينة الدولة أو على الموظفين أو في شراء الأمتعة هو وأصحاب الموكب ، كما بنى وقفا لطلاب العلم من أهالي أفريقيا فيما وراء الصحراء في الأزهر كان منسا موسى مسلما مالكيا فهو لم يقبل الأرض ولم يسجد إلا لله كما أنه التقى بالعلماء المالكية في مصر وهذا يعد دليل واضح على دخول المذهب المالكي لمملكة مالي الإسلامية.

سادسا ـ سلطان مملكة مالي في الأراضي المقدسة : خرج منسا موسى وموكبه من مصر متجها إلى الحجاز حيث أمر السلطان المملوكي محمد قلاوون أمير الحج في تلك السنة سيف الدين ايتمش بالعمل على راحة السلطان ورجاله حتى يصل سالما إلى مكة فقد كانت الدولة المملوكية قد أولت اهتماما بالغا بطرق الحج التي تصل بين مصر ومكة وإقامة فيها الخانات والمساجد لتوفير راحة الحجاج كما عملت على تأمين الطرق من اللصوص لتصل القوافل بأمان .

وصل السلطان مكة حاملاً معه مائة حمل من الذهب أنفق بعضا منها على القبائل البدوية التي مر بها في طريقه وتصدّق بحوالي عشرين ألفا على المحتاجين (57) ، وأثناء إقامته في مكة حصلت فتنة بين جنوده وجنود الأتراك فسحب رجاله السيوف الأمر الذي أغضبه غضبًا شديدًا وصرخ عليهم من شباك إقامته حتى رجعوا عن القتال (58) أدّى فريضة الحج ثم توجه إلى المدينة حيث زار قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واشترى أراضي وواحات من النخيل وحبّسها على أهالي مملكته الذين يؤدون فريضة

الحج (59) ، وطلب من شيخ مكة أن يطلب من أشخاص أهل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يذهبون معه إلى بلده ليتبرك أهل البلاد برؤيتهم ولكن الشيخ رفض وقال : لا أفعل ولا أمر ولا أنهي فمن شاء فليتبعك فأمره بيده وأنا برئ (60) فأمر منادى أن ينادي في الجوامع يطلب من أهل قريش الذهاب معه وفعلا اصطحب معه أربعة كانوا من أشراف قريش ومعهم عائلهم ليستقروا في مالي (61) .

سابعا ـ عودة السلطان من الحـــــجّ : بعد أن أدّى السلطان منسا موسى فريضة الحج قفل راجعًا في طريق العـــودة ظل ركب السلطان المالي طريقه بين مصر والحجاز الأمر الذي جعل جُزءا من الزاد ينفذ كما هلك الكثير من رجاله وجماله بالبرد ، ولم يصل منهم إلا ثلث وأصبح ما بيده لا يكفيه لمواصلة الرحلة إلى بلاده فباع القصر الذي أهداه إياه السلطان وليس ذلك فحسب؛ بل أقترض المال من التاجر المصري سراج الدين خمسين ألف دينار (62) ، كما قدّم له السلطان المملوكي العطايا والمنح تعويضا على ما سرق منه وضاع في طريق عودته (63).

وأثناء عودته سلك منسا موسى الطريق الذي يمر بالأراضي الليبية فقد مرّ بغدامس واصطحب معه المهندس الليبي عبد الله الغدامسي الذي شيد له الجامع الكبير ثم أصبح مستشاره (64) ، ورأي ثاني يرى إن منسا موسى اتخذ طريق القوافل الشرقي في العودة إلى بلاده الذي يبدأ بمصر وبرقة وطرابلس ثم الكفرة ووادي تشاد (65) ، ووصل منسا موسى إلى بلاده سالما بعد رحلة حج طويلة دامت عاما كاملاً تقريبا مليئة بالأحداث تحيطها المبالغات ..

ثامنا ـ آثار الرحلة على بلاد غرب افريقيا : لاالأثر السياسي والدبلوماسي : أثرت رحلة حج منسا موسى الذهبية على نفوس الكثير من الحكام فقد تولدت لديهم أطماع سياسية ظهرت في رغبتهم في السيطرة على مملكة مالي الأمر الذي دفع الكثير للاعتقاد أن رحلة بن بطوطة لبلاد مالي الإسلامية في القرن 8هـ/14م كانت لتجسس بدافع من السلطان المريني أبي عنان لتعرف على خيرات البلاد وطرقها ومسالكها (66)، ولعل هذا ما حصل عندما قامت الدولة السعدية بالهجوم على بلاد السودان الغربي لاحتلاله (67). نفس الشيء حصل مع تجار البندقية وجنوه الذين لفت انتباههم الذهب الذي صرفه السلطان منسا موسى فقد رسموه وبيده عصا من الذهب وأرسلوا الرسومات إلى أوربا ليراها البابا الأمر الذي جعلهم ينتبهون لتلك الثروات فقد يكون هذا سببا في اكتشاف البلاد ومن ثم احتلالها مع بداية القرن 9هـ/15م (68).

كما وطدت رحلة منسا موسى العلاقات الدبلوماسية بين مملكة مالي الإسلامية ، والدولة المملوكية في مصر تمثلت في الاستقبال الرائع الذي استقبل به منسا موسى والهدايا

المتبادلة بينه وبين سلطان الناصر محمد قلاوون كما أنه مد له يد العون عندما تعرض موكب الحج إلى السرقة(69)

الأثـــــر الاقتصادي : فقد عملت رحلة الحج على ازدهار التجارة في بلاد مصر والأراضي المقدسة فقام ركب الحجيج بشراء البضائع المصرية والأقمشة والحرير (70) ، كما نشطت حركة التجارة الداخلية بين مالي ومدينة غدامس وفاس والقيروان (71) . وإضافة إلى تجارة مالي مع تجار البندقية وجنوه وغرناطة حيث يقدمون لهم موادهم المصنعة مقابل الذهب (72) ، وهبوط أسعار الذهب في البلدان التي مر بها منسا موسى في رحلته خاصة مصر فانحط إلى ستة دراهم لمدة اثنى عشرة عاما (73).

الأثر العلمي والثقافـــــي : قام منسا موسى بشـــراء العديد من الكتب في الفقه المالكي والحديث والتفسير واللغة والأدب من الحجاز ومصر (74) ، فقد رحل مع السلطان منسا موسى إلى مالي العديد من العلماء والفقهاء من مصر والحجاز وشمال افريقيا (75) منهم أبا العباس الكالي والقاضي عبدالرحمن التميمي الذي استقر في تنبكت ثم توجه إلي فاس وتتلمذ على يد فقهاء المالكية ثم رجع إلى تنبكت واشتغل قاضيا ومعلما حتى وفاته (76) كما التقى أثناء مروره بمدينة غدامس بالعالم عبدالله الكوني الموحدي الذي رافقه إلى بلده وظل معه واستفاد من علمه الكثير (77).

داع سيط ملك مالي منسا موسى وأخبار موكبه في جميع أنحاء أوربا فأصدرت الكثير من الخرائط عام (739هـــ/1339م) حيث رسمت خريطة لطرق أهم المدن في مالي كما رسمت رسمة لملك منسا موسى يحمل عصا من الذهب (78) ، وهذا يدل على عظمة السلطان وكثرة الذهب في مالي ، ثم أرسل منسا موسى بعد عودته من الحج بعثة طلابية إلى مدينة فاس للتفقه على يد علمائها(79) .

الأثـــــر المعماري : بعد عودة منسا موسى من الحج أنشاء العديد من المساجد التي لا تزال آثار بعضها حتى الآن (80) كان المهندس المعماري الأندلسي إبراهيم الساحلي الطويجن دورًا في أعمار مدينة مالـــي فقد التقى به السلطان في مكة وجمعتهما صداقة حميمة جعلته يذهب معه إلى بلاده واستقر فيها حتى وفاته وكان يمتاز بالبراعة العمارة والهندسة الإسلامية حيث بنى له العديد من المساجد في تنبكت وجاو كان أساسها من الأجر الذي لم يكن معروفا في بلاد السودان في تلك الفترة (81)، كما بنى له قصرا كبيرا فيه قبة مربعة الشكل ظهرت بأبهى صورة بعد أن أتقن بناءها بالكلس وصبغها بأصباغ الزاهية أبهرت عيون الناظرين في مقدمتهم للسلطان الذي كافأه بإثنى عشر مثقال من التبر وعددا من الهدايا تقديرا لجهوده وفنه المعماري (82)

تاسعا ـ وفاة منسا موسى : توفى السلطان منسا موسى عام 737هـ /1332 م بعد حكم دام 25 عاما تاركا امبراطورية عظيمة اشتهرت باتساع رقعتها وكثرة خيراتها وامتازت بأمنها ورخائها واستقرارها (83) .

الخاتمة :

مما سبق عرضه عن رحلة منسا موسى توصلت الدراسة إلى ما يلي :

1- رغم اختلاف الأسماء التي عرف بها منسا موسى إلا أنها لا توجد اختلافات كبيرة من حيث المعنى .

2- أثناء البحث عن الأسباب التي دفعت منسا موسى للقيام بالحج لم تذكر المصادر التي وقعت بين أيدينا سوى أنه قتل أمه عن طرق الخطأ فأراد أن يكفر عن ذنبه وقد صرح بهذا محمود كعك في كتابة تاريخ الفتاش .

3- إن استعداد ملك التكرور للقيام بهذه الرحلة كانت على قدم وساق حيث جهز لها كل ما يحتاج إليه من كسا وماء وأكل رغم هذا اضطر إلى استلاف الأموال في طريق العودة .

4- نلاحظ أن هناك مبالغة ولو قليلا في العدد الهائل الذي رافقه في الرحلة ، وخاصة العبيد وكذلك في كميات الذهب التي أنفقها منذ خروجه من داره بملء وصوله إلى مكة والمدينة .

5 ـ اختلفت آراء الباحثين في تحديد الطريق الذي سلكه سلطان التكرور في رحلته .

6 ـ قصة البحيرة التي أقامها لزوجته هل هي قصة حقيقة أم من نسج الخيال وجدنا هذه القصة بشيء من التفصيل في تاريخ الفتاش الذي يُعد من أهم مصادر تاريخ بلاد أفريقيا فيما وراء الصحراء .

7- استقبل السلطان المملوكي الناصر محمد قلاوون سلطان مالي استقبالاً حارا ، وقد قدم له كل المساعدات ، وفي الوقت نفسه أغدق منسا موسى عليه وعلى دولته الكثير من الهدايا والعطايا والذهب.

8- عند وصول السلطان إلى الأراضي المقدسة أنفق الكثير من المال والذهب على القبائل العربية وتصدق على الفقراء والمحتاجين كما زار قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - واشترى أرضا جعلها وقفا للحجاج من أهالي مملكته .

9- تعرض موكب السلطان أثناء عودته من الحج إلى الهلاك بسبب البرد وهجوم بعض قطاع الطرق ونفاذ الأموال والذهب .

10- خلّفت الرحلة العديد من الآثار منها : السياسي الذي كان سلبيا أكثر من الإيجابي فقد ألتفت أنظار العالم إلى السلطان ومملكته فكانت هذه الرحلة سببا غير مباشر في

تعرض البلاد إلى الغزو فيما بعد ، وازدهرت التجارة الداخلية بين مدن مملكة مالي والمدن القريبة منها مثل : فاس وغدامس وسلجماسة كما كان لتجار البندقية وجنوا نصيبا في هذه التجارة .

11- أما الأثر الثقافي فقد ربط منسا موسى مملكة مالي بروابط ثقافية علمية مع مصر ومكة والمدينة وشمال أفريقيا والأندلس حيث جلب كتب الفقه المالكي والحديث والأدب كما قدم معه العديد من العلماء وفقهاء الدين كان لهم أثرا في الحياة العلمية والثقافية في مالي ، وعن طريق الرحلة دخلت فنون العمارة والبناء الإسلامي إلى مملكة مالي كما شيدت بعدها العديد من المساجد في أغلب مدن المملكة حيث دخل الطراز المعماري الإسلامي في بناءها.

الهوامـــــــــش :

1- أبو سالم محمّـــد بن عبدالله (التكروري ، رحلة أبي سالم التكروري ، دراسة وتحقيق وتقديم الهادي المبروك الدالي ،ط2 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،2009 م ، ص : 19.
2- أحمد بابير الأرواني ، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ،2001 م ،ص58-59 .
3- أبا محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، مرآة الجنان عبر اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،ج٤ ،حيدر وأباد الركن بالهند ،1331هـ ، ص : 271.
4- محمد بن أحمد الحنفي بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ،ط2 ،القاهرة ،1963 م ،ص : 163 .
5- عبدالرحمن بن خلدون ، العبر ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، منشورات علي بيضون ،ج 6 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1992 م ، ص : 200 ، وأبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ،محمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ص101 ،ج 5 ، ص: 594 ، وأبو الفداء الحافظ اسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ،1990 م ،ج4 ، ص200 .
6- الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الأفريقي من القرن 13 -15 م ، مطابع الوحدة العربية بالزاوية ، ص31 ، الهادي المبروك الدالي ، قبائل الهوسا ، الشركة الخضراء للطباعة والنشر ،طرابلس ،2009 م ، ص26 .
7- محمود كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، دراسة وتحقيق وتقديم : ماهر عبدالغني دعوب ، شركة مطبعة السلام ،2009 م ، ص : 79.
*- مل كـــــي ، مملكة مالي الإسلامية التي تأسست بعد سقوط مملكة صوصو في القرن الرابع عشر ميلادي ، المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
8- الدالي ، مملكة مالي ، مرجع سابق ، ص: 31 .
9- القلقشندي ، مصدر سابق ،ج5 ،ص 295 .
10 - عبدالرحمن الســـــعدي ، تاريخ الســـــودان ، دراسة وتحقيق وتقديـــم : الهادي الدالي ، منشورات مركز الدراسات الأفريقية ، طرابلس ،2010م ، ص22-23 ، وتقي الدين أحمد المقريزي ، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الحلفاء وملوك ، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال ،مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ،2000م ،ص: 141 .
11- ابن خلدون ، مصدر سابق ،ج6 ، ص201 .
12 - الأرواني ، مصدر سابق ،ص : 58 .
13- محمود كعت ،مصدر سابق ، ص : 79 .
14- أبو عبدالله محمد بن بطوطة ، رحلة بن بطوطة ،دار صادر ، بيروت ،ب،ت ، ص : 690 .
15- المصدر نفسه ، ص : 690 .
16 - الأرواني ، مصدر سابق ،ص : 58 ، محمود كعت ، مصدر سابق، ص79 .
17- إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ,1973م , ص 36 .
*- تغازا ، يطلق عليها تغزه وهي تقع بين المغرب الأقصى وبلاد السودان ،أغلب سكانها من قبيلة مسوفة ، تعد المصدر الأول للملح ، انظر : عبدالعزيز القشتالي ،مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، دراسة وتحقيق ،عبدالكريم كريم،الرباط ، وزارة الأوقـــاف والشؤون الاجتماعية ،1972 م ص120 .

18- السعدي ، مصدر سابق ، ص22 .
19- محمود كعت ،مصدر سابق، ص79 .
20- المصدر نفسه ، ص80 .
21- المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
22- الآية 51 ،سورة التوبة .
23- محمود كعت ، ص81 .
*- تنبكت ، أو تنبكتـــو ، مدينة في السودان الغربي تقع على الحافة الجنوبية لنهر النيجر تأسست في القرن 5هـــ /11 م على يد الطوارق ،الهادي الدالي ، مملكة مالي. ص33.
**- لاوتة ، مدينة من مدن السودان الغربي واقعة على مسافة 450 كم غرب تنبكتو ، حسن الوزان ، وصف أفريقيا ترجمة عن الفرنســـية محمد الحاجي ومحمد الأخضر ، دار العرب الإسلامي ،بيروت ، ط2 ،1983 م ، ص : 161 .
***- تـــوات ، تقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية ، تضم عدد من الوديان ولد فيها العالم عبدالكريم المغيلي ، تاريخ الفتاش ، تحقيـــق : ماهر دعوب ، ص : 80 .
24- السعدي , مصدر سابق , ص21 .
25- محمد العربي ،بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ،الكويت ،ص48 .
26- محمود كعت ، مصدر سابق، ص81.
27- السعدي ،مصدر سابق ،ص٣٤ .
28- اليافعي ، مصدر سابق ،ص402.
29- عماد الدين أبو الفداء بن كثير، البداية والنهاية ،تحيق عبدالمحسن التركي ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ،ج9 ،2004 م ،ص25 .
30- السعدي ، مصدر سابق، ص31 .
31- محمود كعت ،مصدر سابق ،ص81 .
32- المصدر نفسة ،ص83.
33- المصدر نفسه ،ص82 .
34- السعدي ،مصدر سابق ،ص21 .
35- ابن خلدون ،مصدر سابق ،ج5 ،ص234 .
36- المصدر نفسه ،ج6 ،ص200.
37- أبوبكر ميقا ،مرجع سابق ،ص27 .
38- المرجع نفسه ،والصفحة نفسها .
39- ابن خلدون ،مصدر سابق، ج6 ، ص224 .
40- عبدالرحمن زكي ، الإسلام والمسلمون في غرب أفريقية ، مطبعة يوسف ،ب،ت ،ص35 .
*- **غـــدامس** ، مدينة ليبية بالصحراء تبعد عن جبل نفوسة مسافة سبعة أيام ينتسب إليها الجلد الغدامسي الذي اشتهر بالجودة والإتقان ، عبدالله محمد الحميري ,الروض المعطار في خبر الأقطار , تحقيق إحسان عباس , مكتبة لبنان , 1984 م ، ص : 247 .
- **الجـــيزة ، مدينة في مصر تقع غـــرب الفســـطاط اشتهرت بآثارها الفرعونية القديمة منها الأهرامات . انظر ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،تحقيق فريد عبدالعزيز دار الكتب العلمية ، بيروت ،1990 م ،ج2 ،ص 232 .
41- إبراهيم علي الشامي ، طرق الحج في الصحراء الكبرى في مملكتي مالي وسنغاي ، منشورات دار الكتاب ،بيروت ،لبنان ،ص 7 .

42- أحمد اسماعيل ، التواصل الحضاري بين الشعوب ،منشورات المنظمة الإسلامية للعلوم ،الرباط ،2007 م ص111.
43- محمود كعت ،مصدر سابق ،ص 82 .
44- المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
*- الناصر محمّـد بن قـــلاوون (709 - 741هـ /1309 -1340م) هو الملك الناصر أبو الفتوح محمد بن السلطان المنصور سيف الدين قـــلاوون ، تولى حكم مصر خاض العديد من الحروب والمعارك حقّـق فيها انتصارات باهرة للمزيد . انظر أبو المحاسن بن ثغر بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتاب القاهرة ،ج8 ، ص41 .
- **المهنـــــدار ، كلمة فارسية مكونة من لفظين مهن تعني الضيف ودار تعني المكان الذي يقيم فيه الضيف ، ويستقبل فيه الوفود ، نظر محمد قنديل البعلبي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية ،القاهرة ،1983 م ،ص334 .
45- ابن كثير ، مصدر سابق ،ص27 .
46- ابن فضل العمري ،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،تحقيق كامل سليمان الحبوري ،دار الكتاب العلمية ،بيروت ،2010 م ، ص76.
47- المصدر نفسه ،ص77 .
48- اليافعي ،مصدر سابق ،ص112 .
49- أحمد تقي الدين المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ،تحقيق محمد عبدالقادر عطا ،ج٣ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،1997 م ، ص : 73 .
50- المقريـــــزي ، الذهب المسبوك ، ص 112 ، و صلاح الدين منجد ، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب ،بيروت ،1982 م ،ط 2 ،ص63 .
51- أبوبكر ميقا ، مرجع سابق ،ص79 .
52- المقريزي ، الذهب المسبوك ،ص143 .
53- العمري ،مصدر سابق ،ص 53 .
54- أحمد السيد الباز ، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وسنغاي (7-10 هـ /13-16م) الدولة الأفريقية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2013 م ، ص183 -184
55- العمري ،مصدر سابق ،ص58 .
56- المصدر نفسه ،ص74 .
57- جلال الدين السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل هيثم ، دار الأحياء لكتب العربية بالقاهرة ،1968 م ،ج2 ،ص315
58- اليافعي ،مصدر سابق ،ص104 .
59- محمود كعت ،مصدر سابق ،ص79 .
60- المصدر نفسه ، ص84 .
61- المقريزي ،الذهب المسبوك ،ص113 .
62- المصدر نفسه ،ص114 .
63- ابن خلدون ، مصدر سابق ،ج5 ،ص152 .
64- الناصري ،مصدر سابق ،ص 152 .
65- إبراهيم طرخان ،مرجع سابق ،ص: 26 .
66- أحمد الشـــكري ، المجتمع السوداني في امبراطورية مالي (1230 -1436 م) أبو ظبي ،1999 م ، ص275 -276 .
67- عبدالقادر زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ،الجزائر ،ب،ت ،ص45 .

68- إبراهيم طرخان ،مرجع سابق ، ص88 .
69- ابن خلدون ،مصدر سابق ،ج5 ،ص496 .
70- أبوبكر عبدالله الداودي ، كنز الدرر وجامع الغرر ،تحقيق هانس روبرت 1971 م ، ص316.
71- الهادي الدالي ، مملكة مالي ،ص189.
72- العمري ،مصدر سابق ،ص57 .
73- السعدي ،مصدر سابق ،ص65-66 .
74- المقريزي ،الذهب المسبوك ،ص114 .
75- أبوبكر ميقا ،مرجع سابق ،ص82 .
76- السـعدي ، مصدر سابق ،ص51 .
77- محمد فاضل وأخرون ،المسلمون في غرب افريقيا تاريـخ وحضارة ، دار الرشاد الإسلامية ، بيروت ،2006 م ،ص42 .
78- فيج جي دي ، تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة : يوسف نصر ،دار المعارف ،القاهرة ،1982 م ، ص156 /157 .
79- السعدي ،مصدر سابق ،ص57 .
80- ابن خلدون ، مصدر سابق ،ج6 ،ص238 .
81- عبدالرحمن زكي ،مرجع سابق ، ص169 .
82- السلاوي ،مصدر سابق ،ج5 ،ص101 .
83- أبوبكر ميقا ،مرجع سابق ،ص81 .